وسطية الإسلام

مفهوم الوسطية

يتحدد مفهوم الوسطية ، ببيان معناها اللغوى ، ومعناها الاصطلاحى ، فأما المعنى اللغوى : فوسط الشيء هو ما بين طرفيه .

وأما المعنى الاصطلاحى : فالمراد بالوسطية : التوازن والتعادل بين الطرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل والأعدل، والأجود والأكمل.

ولا نريد بالوسطية أن يكون الإنسان فى درجة المتوسط فى عبادته أو عمله أو سلوكه، ولا أن يكون متوسط العلم أو العمل أو السعى أو الخُلق بمعنى أنه لا يكون متقدماً ممتازاً فى هذه الأمور، بل نريد بالوسطية الأجود والأفضل، والأكمل والأعدل، وخير الأمور أوسطها أى : أعدلها.

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١) أى : عدولاً خياراً.

وقال تعالى : ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ (٢) أى : تتوسط الصفوف فى المعركة.

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٤٣).

(٢) سورة العاديات ، آية (٥).

وقال سبحانه : ﴿ **مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ** ﴾ (١) .

وقال جل شأنه : ﴿ **قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ** ﴾ (٢) أى : قال أعدلهم وأصلحهم.

وقال سبحانه : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ** ﴾ (٣) وأرجح الآراء أنها صلاة العصر، لقوله ﷺ : فى يوم الأحزاب « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً »(٤).

وسطية الأمة : لقد وصف القرآن الكريم الأمة الإسلامية بأنها الأمة الوسط.

قال الله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ (٥) .

والوسط : الخيار والأجود، ولما أنعم الله على هذه الأمة بنعمة الوسطية فكانت خير الأمم، خصها سبحانه وتعالى بأكمل الشرائع وأوضح المناهج

---

(١) سورة المائدة ، آية (٨٩).

(٢) سورة القلم ، آية (٢٨).

(٣)سورة البقرة ، آية (٢٣٨).

(٤) رواه مسلم .

(٥) سورة البقرة ، آية (١٤٣).

وأيسر التكاليف وأوضحها، كما قال سبحانه : ﴿ **هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾[1] .

وفيما رواه الإمام أحمد ـ بسنده ـ عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « **يدعى نوح يوم القيامة فيقال له : هل بلّغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم؟ فيقولون : ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح : من يشهد لك؟ فيقول : محمد وأمته ، قال: فذلك قوله ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : « والوسط : العدل ، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم** »[2] .

وفيما رواه الإمام أحمد ـ بسنده ـ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يجىء النبى يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم هذا، فيقولون : لا ، فيقال له : هل بلغت قومك؟ فيقول : نعم، فيقال : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته ، فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال : وما علمكم؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله عز وجل** :

---

(١) سورة الحج ، آية (٧٨) .

(٢) رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه ، من طريق الأعمش .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ».

والآية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى حين حوَّل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبلة إبراهيم عليه السلام واختارها لهم ليجعلهم خيار الأمم، ليكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع معترفون لهذه الأمة بالفضل .

وواضح أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهل المدينة اليهود، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهراً، وكان قبلة إبراهيم، فكان يتوجه بالدعاء إلى ربه سبحانه وتعالى ، وينظر إلى السماء؛ فأنزل الله تعالى قوله :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وكان عليه الصلاة والسلام ـ قبل هجرته ـ قد أُمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فكان بمكة يصلي بين الركنين فتكون بين يدية الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس.

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٤٤) .

وكان الأمر باتجاهه إلى بيت المقدس من الله تعالى ، وكان التحويل إلى الكعبة من الله ، ووافق رغبة رسول الله ﷺ ، فقد شرع الله التوجه إلى بيت المقدس ثم شرع التحول إلى الكعبة، ليظهر من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه، قال تعالى :

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾(١) .

عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قِبَل مكة، فداروا كما هم قِبَل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة قَبْل أن تحول قِبَل البيت رجالاً قُتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

وسطية المكان :

والكعبة المشرفة ـ التى هى قبلة المسلمين ـ هى فى البقعة المباركة والمكان

(١) سورة البقرة ، آية (١٤٣) .

(٢) سورة البقرة ، آية (١٤٣) ، والحديث رواه البخارى .

الوسط، فهى فى وسط الكوكب الأرضى، تتوسط دنيا الناس شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً .

وهكذا اختار الله مكان رسالته، وموقع قبلة الصلاة، ومهبط الوحى، هذا المكان الوسط، الذى يتسق مع وسطية الدعوة السمحة ويتناسب مع الرسالة العامة الخالدة، لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع العالم.

وهكذا اقتضت الحكمة الربانية، أن يكون المكان وسطاً فى جغرافية الأرض، لتتمكن الدعوة أن تنتشر فى ربوع الأرض، وتؤدى أمة الإسلام أمانة التبليغ التى حمَّلها الله تعالى إياها، حيث نزل الوحى - قرآناً وسنة - بلسان عربى مبين، وفى أمة عربية ، وفى مكان وسط من العالم، كل هذا يؤكد وجوب تبليغ الأمانة التى كلف الله تعالى هذه الأمة بها، وشرَّفها بإنزال الوحى على أرضها ، وإرسال رسول من أنفسهم، وقيام القبلة - الكعبة المشرفة ـ فى هذا المكان الطاهر والحرم الآمن فى قلب العالم .

وهكذا تتكشف حقيقة نزول الوحى الإلهى فى البلد الحرام، والقبلة المشرفة داخل المسجد الحرام، فمكة المكرمة هى مركز الكرة الأرضية ووسط العالم بأسره.

وأن قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى**

﴿ النَّاسِ ﴾ يحدد لهذه الأمة دورها فى النهوض بالبشرية ورسالتها فى قيادة القافلة الإنسانية، فبذلك تتبوأ مكانتها كخير أمة أخرجت للناس، شاء الله لها أن تكون أمينة على رسالة السماء وشاهدة على الناس.

وحين تتخلى عن هذه الرسالة، أو تخل بواجبها تكون قد حرمت نفسها من خيريَّتها، ومن كونها الأمة الوسط، وفقدت كيانها المعنوى ودورها الريادى بين الأمم.

ويستوجب القرآن على هذه الأمة عبادة الله والجهاد فى سبيل الله حق جهاده، لأنه اختارهم واصطفاهم على سائر الأمم، وكلفهم بشريعة لا حرج فيها ولا مشقة، ولا ضيق ولا عسر، إنها الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام، وقد سمَّاهم الله المسلمين ـ من قبل ـ فى الكتب المتقدمة، وفى هذا آى القرآن قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (١).

(١) سورة الحج ، الآيتان (٧٧ ، ٧٨) .

أى أن الله تعالى جعل هذه الأمة وسطاً عدولاً وخياراً، ليكونوا شهداء على الناس وعلى جميع الأمم، لأن جميع الأمم معترفة بفضل هذه الأمة على كل أمة سواها، ولذلك تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة فى أن كل رسول بلغ قومه، ويشهد رسول الله ﷺ على هذه الأمة أنه بلغها ذلك .

وفى مقابل هذه المنزلة التى بوأها الله تعالى لهذه الأمة، وفى مقابل النعمة على الأمة أن تقوم بشكر ربها سبحانه وتعالى، وما أوجبه الله عليها من عبادة وطاعة ومن أهمها الصلاة والزكاة، وعليهم أن يعتصموا بالله وأن يعتضدوا به ويتوكلوا عليه . . . ﴿ **فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ (١) .

***

(١) سورة الحج ، آية (٧٨) .